

مفاهيم القرآن

(391) قلناه في الآية المتقدّمة المشابهة لما نحن فيه، إذ لو كان الرب بمعنى الخالق لما كان لذكر جملة (الَّذِي خَلَقَكُمْ) وجه، بخلاف ما إذا قلنا بأنّ الرب يعني المدبر، فتكون جملة (الَّذِي خَلَقَكُمْ) علّة للتوحيد في الربوبية، إذ يكون المعنى حينئذ هو: أنّ الذي خلقكم هو مدبّركم. ج. (قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَمْغِي رَبًّا وَهَؤُلَاءِ رِبُّ كُلِّ شَيْءٍ). (1) وهذه الآية حاكية عن أنّ مشركي عصر الرسالة كانوا على خلاف مع الرسول الكريم - صلّى الله عليه وآله وسلّم - في مسألة الربوبية على نحو من الأنحاء، وأنّ النبي الأعظم كان مكلاًفاً بأن يفنّد رأيهم ويبطل عقيدتهم ولا يتخذ غير الله رباً على خلاف ما كانوا عليه، ومن المحتم أنّ خلاف النبي مع المشركين لم يكن حول مسألة "التوحيد في الخلقية" بدليل أنّ الآيات السابقة تشهد في غير إبهام بأنّهم كانوا يعترفون بأنّهم لا خالق سوى الله تعالى، ولذلك فلا مناص من الإذعان بأنّ الخلاف المذكور كان في غير مسألة الخلقية، وليست هي إلّا مسألة تدبير الكون، بعضه أو كلّها. د. (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ زَعَمْنَا كُنْزًا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ). (2) فقد أخذ الله في هذه الآية - من جميع البشر - الإقرار بالتوحيد الربوبي، وكانت علّة ذلك هي ما ذكره من أنّهم سيحتج على عباده بهذا الميثاق يوم القيامة، كما يقول: (أَو تَقُولُوا إِنْ زَعَمْنَا أَشْرَكَ آيَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنْزًا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ قَبْلُ). (3)

1 . الأنعام: 164. 2 . الأعراف: 172.